وعلى الصعد الاخرى كافة[١٠]، ابرزها فتح الاسواق الفلسطينية. وكان من شأن الوضع الجديد احداث تغييرات جوهرية في التكوين الاجتماعي، وتقهقر العلاقات الاقطاعية الانتاجية لحساب العلاقات الرأسمالية، وافساح في المجال، نسبياً، للصناعة العربية، فكان ٦٠,٥ بالمئة من مجموع المشاغل الصناعية في فلسطين، سنة ١٩٢٧، ملكاً للعرب، وبلغ راس المال المستثمر فيها نحو ٦١٣ الف جنيه فلسطيني؛ امّا الاستثمار الاجمالي، فبلغ، آنذاك، ٣٥١٤٨٨٦ جنيهاً فلسطينياً؛ وكان يعمل في هذه المشاغل ١٧٩٥٥ عاملاً[١١].

ولعلّ أبرز العوامل التي دفعت بالصناعة على طريق النمو: اضطرار حكومة الانتداب الى التطوير الاقتصادي المحلي، بما يفيد الاقتصاد البريطاني؛ وازدياد الرغبة الشعبية في الاتجاه الاستهلاكي؛ وزيادة الهجرة اليهودية، وما ترتّب عليها من زيادة الطلب على السلع؛ وموقع فلسطين الجغرافي، وما تتميز به موانئها من اهمية.

الّا ان تلك العوامل، وما ترتب عليها من تطورات صناعية، لم تحل دون بروز المصاعب، كضيق السوق الداخلية، مثلاً، اضافة الى ان قسماً كبيراً من الاقتصاد الزراعي كان طبيعياً، ممّا ادى، بدوره، الى نقص في رؤوس الاموال، واخفاض مستوى نظام المواصلات، ونقص في الايدي العاملة الماهرة، يضاف الى ذلك المصاعب التي سببها الحكم البريطاني، ومنها فرض ضريبة على المواد الخام، وفتح ابواب البلد على مصارعيه للسلع الاستهلاكية الجاهزة[١٢].

وخلال فترات التحوّل تلك، نشأت القوى الشعبية، وفي مقدّمها الطبقة العاملة، كقوة اجتماعية، وتطوّرت من خلال تطور القوى الانتاجية ذاتها، شأنها في ذلك شأن بقية البلدان العربية الاخرى الخاضعة للانتدابات. ولكن ظروف الصراع القومي مع الصهيونية، ومع ما خلّفته من دعائم مادية وقوى اجتماعية جعل لتطور القوى الشعبية طابعاً مميزاً خاصاً، بسبب ظروف تنافسية صعبة، وقوانين انتدابية منحازة الى جانب المشروع الصهيوني[١٣].

الحركة الشعبية وعلاقتها بالحركة السياسية

كانت عملية ولادة الحركات والتنظيمات الشعبية الفلسطينية شبيهة، الى حدّ بعيد، بمثيلاتها في الاقطار العربية المستعمرة. فقد ادّى تدهور الاوضاع الاقتصادية الى هجرة مستمرة من الريف الى المدن؛ إذ شكلت المدن مركز جذب للفلاحين، الذين اصبحوا يواجهون صعوبات متزايدة في الحصول على ما يقوتهم[١٤]. وكان طبيعياً ان ينخرط معظم الوافدين من الفلاحين في الاعمال الصناعية الناشئة، وفي هوامش تلك الاعمال، كالعمل في الموانىء، والنقل.

نشوء الحركة العمالية

كانت الحركة الصهيونية هي السبّاقة الى تأسيس أول تنظيم عمالي في فلسطين، الهستدروت، في أوائل سنة ١٩٢٠. وقد امتازت الطبقة العاملة الصهيونية عن مثيلتها الفلسطينية بالتطور التنظيمي، إضافة الى المهارة، لكونها نشأت في البلدان الأوروبية أساساً، إضافة الى برنامجها الخاص في استيطان الاراضي الفلسطينية، وتهويد العمل فيها. ولعل من اللافت للنظر توجه العمال العرب الى الانضمام الى الهستدروت، بدلاً من الانطلاق في العمل النقابي المستقل. «ويبدو ان افتقار العمال الفلسطينيين الى الخبرة النقابية، ورغبتهم في الاستفادة من الامتيازات التي كان يتمتّع بها العمّال اليهود نتيجة انضمامهم الى الهستدروت»، قد اسهم في دفع العمال العرب نحو الهستدروت،